تاريخ استقبال المقال: 2014/09/13 تاريخ قبول نشر المقال: 2015/03/06 تاريخ نشر المقال: 2015/06/30
النمو النفسي الاجتماعي وحاجات المسنين في ضوء
نظرية أريكسون

أ. رشيد سواكر - جامعة حمه لخضر الوادي
أ. عيسى تواتي إبراهيم - جامعة حمه لخضر الوادي

الملخص:

يمر الإنسان في رحلة حياته بمراحل نمائية وتطورية بيولوجية ونفسية وعقلية واجتماعية تشكل في مجملها محصلة تنشئته والعوامل التي تدخلت في التأثير بها، ومرحلة الشيخوخة مرحلة تتعرض لمشكلات خاصة بها جسمية ونفسية واجتماعية واقتصادية، لذا حظي المسنين بالرعاية في المجتمعات المختلفة سواء كانت رعاية تقليدية أو مستحدثة.

Psycho-social growth and the needs of the elderly in light of the theory of Ericsson

Abstract :

Man goes on a journey in his life with developmental, evolutionary, biological, psychological, mental and social stages which form in its entirety the outcome of his upbringing and the factors that intervened to influence them, and the stage of aging under its own problems, physical, psychological, social and economic, so the elderly received care in different communities, whether traditional or innovative care.

مقدمة:

تحظى قضايا واحتياجات المسنين باهتمام مختلف دول العالم، ولقد أكدت الدراسات العلمية في مجال رعاية المسنين أن كبر السن مرحلة نمائية عادية من مراحل النمو، و تتطلب هذه المرحلة ضرورة العمل على وضع خطط تستهدف الاستفادة من جهود وخبرات المسنين و توفير أوجه الرعاية التي تكفل لهم حياة كريمة مستقرة و العمل على دمجهم في المجتمع للمساهمة في تحقيق أهدافه، لذا فإن قضية المسنين هي قضية تهم كل البلدان الغنية أو النامية لما لها من تأثير على التنمية الشاملة. و ينظر المجتمع المعاصر لاحتياجات المسنين على أساس أنهم جزء أساسي من المجتمع فهم إذا كانوا قد تركوا الحياة العملية فإن هذا لا يعد دليلا على عجزهم فالخبرة و الحكمة التي تتأتى لهم خلال العمل الطويل تجعل لمشورتهم ثقلا و وزنا يعتد به.

1- مفهوم الشيخوخة:

يستخدم الباحثون في مجال دراسة المسنين أحيانا مفهوم الشيخوخة و أحيانا أخرى مفهوم التقدم في العمر (aging) على أنهما مترادفان و يشيران إلى نفس المعنى. و كلاهما قد أستخدم بأشكال مختلفة. كما تعددت معايير تحديد الشيخوخة، فمنها معيار العمر الزمني، و العمر البيولوجي، و العمر الاجتماعي، و العمر السيكولوجي. و على الرغم من وجود بعض الاختلافات بين الباحثين حول مفهوم الشيخوخة و التقدم في العمر، فإن هناك بعض جوانب الاتفاق، و التي يمكن تلخيصها بما يلي:

أ- أن هناك تغييرا يحدث في وظائف الفرد بعد بلوغ فترة النضج.
ب- أن هذا التغيير هو حسيلة عدد من التراكمات البيولوجية و السيكولوجية و الاجتماعية التي يمر بها الفرد في حياته.

ج- أن العمر الزمني غير كاف وحده لتفسير التغيرات التي تطرأ على الفرد في مرحلة الشيخوخة.

د- أن الشيخوخة كمرحلة عمرية من مراحل النمو لها مظاهرها البيولوجية و السيكولوجية و الاجتماعية المصاحبة لها، فهي الفترة التي يحدث خلالها ضعف و انهيار في الجسم، و اضطراب في الوظائف العقلية، و يصبح الفرد أقل كفاءة، و ليس له دور محدد، و منسحب اجتماعيا، و سيء التوافق، و منخفض الدافعية، و غير ذلك من التغيرات. و يعرفها "شاي" نقلا عن "خليفة" بأنها "التدهور التدريجي في قدرة الفرد على التكيف مع التغيرات التي يواجهها، و تفرضها ظروف الحياة" (1).

2- نظرية أريكسون في النمو النفسي الاجتماعي:**1-2- مدخل إلى نظرية أريكسون:**

تمثل نظرية أريكسون في نمو الأنا بصفة عامة و تشكل الهوية بشكل خاص نقلة نوعية في تاريخ التحليل النفسي، حيث حوّلت مساره من التركيز على سيكولوجية الهو القائلة بخضوع النمو للحتمية البيولوجية ممثلة في غريزتي الجنس و العدوان إلى التركيز على سيكولوجية الأنا المؤكدة لتطور الأنا و نمو فاعلياتها وفقا لمبدأ التطور المؤكد بدوره لأهمية التفاعل بين العوامل البيولوجية و البيئية و ما يثمر عن تفاعلها من سمات شخصية في إحداث التغيير النفس- اجتماعي (2).

لقد عدّل أريكسون من نظرية فرويد استنادا لنتائج البحوث النفسية الاجتماعية و الأنتروبولوجية المحدثه. ورغم أنه أبقى في نظريته الكثير من مفاهيم "فرويد" بما فيها مثلث مكونات الشخصية: الهو و الأنا و الأنا الأعلى، إلا أنه أعطى أهمية أقل للحاجات البيولوجية الأساسية للهو بالمقارنة مع "فرويد"، بل عوضا عن ذلك، فإنه يعتقد أن الأنا هي القوة المحركة للسلوك (3).

و لهذا اعتبر أريكسون الأنا بُنية مستقلة للشخصية أي أنّ بعض وظائف الأنا و أدائها لم ينشأ لتجنب الصراع بين الهو و مطالب المجتمع، بل تتبع الأنا مسارا من النمو الاجتماعي و التوافق مواز لنمو الهو و غرائزه. و هذا المفهوم للطبيعة الإنسانية أو ما يسمى سيكولوجية الأنا يمثل تغيرا جذريا و ابتعادا عن التفكير التحليلي المبكر فهو يصور الأشخاص باعتبارهم عقلانيين منطقيين في اتخاذ القرارات و حل المشكلات (4).

و تعتبر نظرية أريكسون من النظريات النفسية الدينامية، فهي تتناول الدوافع الحيوية و الانفعالية و طرق التوفيق بينها و بين متطلبات البيئة الاجتماعية. و قد بنى أريكسون نظريته على مبادئ التحليل النفسي، و تتناول مراحل نمو الأنا و تكوّن الشخصية ، على نسق نمو الجنين، حيث يتناول ظهور أعضاء معينة من الجسم في أوقات محددة، ثم يتكون الطفل كاملا في النهاية. و بالطريقة نفسها، تنمو الشخصية فيسير نموها حسب مخطط نمو، حيث تنمو مكوناتها في تتابع و مراحل لتتكون في النهاية الشخصية ككل (5).

إذن يفترض أريكسون أن الظواهر النفسية تمر بتاريخ تطوري شبيه بالتكوينات البيولوجية. و يسير النمو السيكولوجي و الاجتماعي من النمو الفسيولوجي بفعل نمو الأنا ، و من خلال العلاقة المتبادلة بين جسم الإنسان و عالمه و تساعد العملية الاجتماعية الفرد على المحافظة على استمراريته. فالفرد في كل الأوقات تركيب عضوي، و في نفس الوقت عضو في المجتمع، و هو مرتبط بالثقافة و بالعمليات الاجتماعية التي تساعده على البقاء (6).

2-2- مراحل النمو النفسي الاجتماعي:

لقد حدد أريكسون ثماني مراحل للنمو النفس اجتماعي تستمر مدى الحياة و أفترض أريكسون أن كل مرحلة نفسية اجتماعية مصحوبة بأزمة. و الأزمة حسب أريكسون لا تعني كارثة وشيكة الحدوث بل هي نقطة تحول في حياة الفرد يتحرك فيها النمو مسارا جديدا إلى الأمام (7) نتيجة للتفاعل بين النضج الفسيولوجي و المطالب الاجتماعية التي على الشخص أن يستجيب لها في تلك المرحلة و تتحدد المكونات المختلفة للشخصية نتيجة لطريقة معالجة هذه الأزمات. و الصراع جزء لا يتجزأ من نظرية أريكسون و يرجع ذلك إلى النمو و ما يرتبط به من اتساع لدائرة العلاقات الاجتماعية و تزداد قابلية وظائف الأنا للفرد في كل مرحلة. كما ركّز أريكسون على البيئة الثقافية التي تنظم القوى الغريزية للفرد و تختار له طبيعة تجاربه و ليس الطفل و والديه وحدهم فقط، و لكن تطور الشخصية يتأثر بعمق بالأسرة و مؤسسات اجتماعية عديدة أخرى (المدرسة، الأصدقاء،...) كلهم يقومون بأدوار في تشكيل شخصية الفرد (8).

و طبقا لأريكسون فإن ظهور كل مرحلة يرتبط بظهور أزمة تمثل حاجة ضرورية للتطور و استمرارية نمو الأنا مبرمجة بيولوجيا وفق لدرجة نضج محددة و متأثرة بمراحل النمو السابقة. و كنتيجة لطبيعة هذه المتغيرات يتم حل الأزمة إيجابا أو سلبا، و يتضمن ذلك إعادة تشكيل التوحيدات السابقة و دمجها مع التوحيدات الآتية وفقا لطبيعة النمو في المرحلة الآتية مفضية إلى بناء نفسي جديد (A new psychological totality)، معتمدا في ذلك على مبدأ التماثل و الاستمرارية و اللذين يشيران إلى اعتمادية بناء الأنا الحالي على التوحيدات السابقة (التمائل)، إلا أنه متطور و مختلف (9). و هذه المراحل هي:

2-2-1- مرحلة اكتساب الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة (Trust versus Mistrust) :

كما أنّ لتجارب الطفل الأولى تأثيرا مهما على نمو الثقة أو عدم نموها. و يبدو أن بوادر الثقة عند الرضيع ترتبط بوسائل العناية و التغذية. ففي حوالي الشهر الرابع، يشعر الرضيع باللذة و الأمان عندما يسمع صوت أمه أو وقع قدميها تقترب منه. و هنا يصبح على يقين أنها قادمة إليه لتأمين الحب و الغذاء. بعد الشهر الخامس، تنمو حركات الطفل و قدراته الذهنية، و يصبح قادرا على تناول بعض الأشياء و الألعاب مع تحريك الجسم باتجاهها، و

هنا تنمو لديه الثقة بالجسد. فهو يقوم بإطلاق الأصوات عندما يظهر الشيء (الشعور بالارتياح)، و كذلك عندما يغيب عن نظره (الشعور بالانزعاج) (10).

2-2-2- مرحلة الاستقلال مقابل الخجل و الشك (Autonomy versus Shame & Doubt):

حتى ينأسس الإحساس بالثقة على نحو راسخ، يبدأ الطفل فيما بين الشهر الثاني عشر أو الخامس عشر حتى نهاية السنة الثالثة في تأسيس المكوّن التالي للشخصية السليمة، إذ يبدأ الطفل في اكتشاف أن سلوكه أمر خاص به، و أنه إنسان مستقل له الحرية في التعبير الذاتي و في ضبط الذات دون فقد احترامها و تقديرها. و مع ذلك فإن استمرار اعتماد الطفل على الآخرين يتسبب في خلق إحساس لديه بالشك في قدرته و حريته في تأكيد استقلاله الذاتي، و يتّضح هذا الشك ممتزجا بشيء من الخجل من اعتماديته التي كان يتمتع بها كثيرا في المرحلة السابقة. و هناك أساس فسيولوجي لهذا السلوك المتميز الواضح، فهذه الفترة فترة نضج الجهاز العضلي و ما يترتب على هذا النضج من تأزر و توافق عدد من أنماط الحركة و الفعل المتصارعة المختلفة: كالإمساك بشيء و تركه، و كالمشي، و الكلام، و يصحب كل هذا إرادة مسيطرة هي "أنا أفعل" تتحدى كل ما يقدم لها من عون (16).

2-2-3- مرحلة المبادرة مقابل الشعور بالذنب (Initiative versus Guilt):

و تشمل هذه المرحلة الفترة الممتدة بين الرابعة و الخامسة من عمر الطفل، فبعد أن يطوّر الطفل قدرة كبيرة على التحكم بحركات جسمه و عضلاته، لا بد له من أن يتحرك في بيئته و ينطلق في عالم جديد من الخبرة دون الاعتماد على الوالدين أو من يقوم مقامهما في كل ما يرغب عمله. فإذا حصل ذلك يقال أن الطفل قد طوّر شعورا بالمبادرة (11). و إذا كانت كلمة "لا" هي الخافية المميزة للمرحلة السابقة فإن كلمة "ماذا؟" هي السمة المميزة لهذه المرحلة الفضولية. و تحدد استجابات الوالدين لأنشطة الأطفال و مبادراتهم، المحصلة الناجحة أو الفاشلة لهذه المرحلة فإذا عززت المبادرة فسلوك الطفل سيتم توجيهه نحو تحقيق الهدف أما العقاب أو التثبيط المتواصل لمبادرات الطفل العامة فيمكن أن تؤدي إلى شعوره بالذنب و الاستسلام (12).

2-2-4- مرحلة الإنجاز و الكفاءة مقابل الشعور بالنقص (Industry versus Inferiority):

تستغرق هذه المرحلة سنوات أطول إذ تمتد من السادسة إلى سن الثانية عشر. إن الطفل طوّر مشاعر الثقة، و الشعور بالاستقلالية، و القدرة على المبادرة مرشّح، إن سار كل شيء على ما يرام، أن يحسم أزمة هذه المرحلة لصالح الشعور بالقدرة على الإنجاز سواء في البيت أو في المدرسة فما يكلف به من واجبات مدرسية أو أسرية و ما تفرضه عليه جماعة الرفاق من مهمات يؤديها و يحرص على أن يكون هذا الأداء جيدا و بالسرعة الممكنة (13). و يسعى الطفل في هذه المرحلة إلى إنجاز أعمالا حقيقية لتحقيق ذاته في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه و يتجه الطفل فيها خارج ذاته، و يريد أن يحقّق لنفسه مكانة اجتماعية و يحرص على إرضاء الكبار فيتصرف بالطاعة و الهدوء الانفعالي و الخطر في هذه المرحلة هو الشعور المتزايد بعدم الثقة و الاكتمال أو الشعور بالدونية (14).

2-2-5- مرحلة الإحساس بالهوية مقابل اضطراب الدور (Identity versus Role Confusion):

يشير أريكسون إلى أهمية هذه المرحلة من دورة الحياة وما لها من دور حاسم في نمو الفرد النفسي الاجتماعي. و أثناءها يواجه المراهق مطالب اجتماعية مختلفة و تغيرات أساسية. لهذا السبب أولاها أريكسون اهتماما خاصا أدى إلى تحليلها تحليلا مفصّلا أكثر من أي مرحلة أخرى من مراحل النمو. فهو يرى أن البعد النفسي الاجتماعي الجديد الذي يظهر خلال المراهقة إما أن يكون إحساس بهوية الأنا إذا كان موجبا، أو إحساس بتميع (تشتت) الدور إذا كان سالبا (8).

و في هذا المرحلة يبدأ المراهقين في الانزعاج حول موقعهم المستقبلي في العالم الاجتماعي، فهم بحكم ما لديهم من قوى عقلية متزايدة و سريعة، يشعرون بأنهم غارقون في خيارات و بدائل مطروحة أمامهم، و لأنهم غير واثقين حول من يكونون فهم يميلون إلى قلق التماهي بالجماعة و تحديد الهوية داخل الجماعة و يصبحون متعصبين و في منتهى القسوة في استبعاد الآخرين عنهم، و في توجههم السريع للبحث عن هوية، فإنهم يُعرضون أنفسهم و الآخرين لاختبار الولاء، حيث يرتبط بعضهم بأيدولوجية سياسية أو دينية و في كل ذلك، فإننا يمكن أن نكتشف سعيهم وراء القيم الحقيقية⁽¹⁴⁾.

2-2-6- مرحلة الإحساس بالألفة مقابل الإحساس بالعزلة (Intimacy versus Isolation):

و تمتد هذه المرحلة من نهاية فترة المراهقة و اكتشاف الشاب لهويته أي سن الثامنة عشرة تقريبا، حتى انتهاء فترة الرشد المبكر، و التي تنتهي في منتصف الثلاثينات من العمر. أي أن المرحلة السادسة تميز فترة الرشد المبكر عند الفرد. فبعد أن يكون الإنسان قد طور هويته و أصبح شخصا متفردا، لا بد له من اختبار هذه الهوية. و يكون الاختبار الحقيقي لها مشاركة شخصا آخر بهذه الهوية⁽¹¹⁾. و هنا يحاول الراشد أن يربط ذاته بشخص آخر، فيرتبط بصداقات و علاقات تواد و تزواج مع أحد أفراد الجنس الآخر. و عندها تنمو العلاقات الجنسية الحقيقية مع محبوب، يضع الفرد نفسه على طريق مسؤوليات الرشد⁽¹⁵⁾.

و إذا لم يتح للمراهق فرصة إنشاء علاقات التآلف مع الآخرين فإنه يعيش في عزلة سيكولوجية و تظل علاقاته مع الآخرين سطحية ينقصها الدفء و التلقائية. و يجب على الآباء و المعلمين أن يتخلصوا من الاستبدادية و السيطرة على أبنائهم، بحيث يتيحوا لهم أفضل الفرص لإتماء الإحساس بالاستقلال و المبادأة، و لكي يتعرفوا على هويتهم تعرفا يؤدي بهم إلى إنشاء علاقات شخصية مع الآخرين لا تدوب فيها كياناتهم⁽¹⁵⁾.

2-2-7- مرحلة الإنتاجية مقابل الركود (Generativity versus Stagnation):

و تشمل هذه المرحلة فترة الرشد عند الإنسان و تتميز بالتخلص من الانغماس في الذاتية و الانتقال إلى رعاية الأطفال، و الدور الاجتماعي المتوقع من الفرد القيام به في هذه المرحلة يحتم عليه أن ينجب الأطفال و من ثم يقوم برعايتهم، فإذا نجح في ذلك يكون شعورا بالقدرة على الإنتاج و إذا فشل في ذلك يشعر بالركود و الجمود. و تتضمن أزمة الإنتاجية القدرة على الاهتمام بالآخرين، و يتسع معناها ليشمل الإنتاجية و الإبداع، و قد أشار أريكسون إلى قيمة هذه الأزمة و دورها في ديمومة الحياة في العالم⁽¹⁶⁾.

و الإحساس بالإنتاجية يضمن للجيل التالي الآمال و الفضائل و الحكمة التي جمعها الأباوان، و يشمل إحساسا بالأبوة و الرعاية السوية للأطفال و إشباع حاجاتهم، و النظر للأطفال على أنهم أمانة في العنق وُضعت في يد الفرد. و لكن بعد ذلك يبرز التحدي الذي يجعل الفرد يبحث عن الهدف الأوسع من دائرة الأسرة المحددة، فهو يبحث عن إنجاز شيء أعلى من تغطية احتياجاته الأسرية، إنه يواجه مشكلة البحث عن القضايا التي تهمة كالبحث عن أيدولوجية تعطي معنى لحياته، و كثيرا ما يحتاج إلى الدين أو إلى الفلسفة مرة أخرى⁽¹⁶⁾.

2-2-8- مرحلة تكامل الذات مقابل اليأس (Sence of Integrity versus Despair):

تمثل هذه المرحلة الأزمة الأخيرة في نموذج أريكسون للنمو النفسي الاجتماعي للأنسا. و تقابل مرحلة الرشد المتأخر (الكهولة و الشيخوخة)، فهي المرحلة النهائية من حياة الإنسان منسجمة مع كل ما تحمله من نكوص بدني و صحي و ضعف للفعالية الاجتماعية بل و كل ما يعنيه قرب الموت، و بكل ما يعنيه موت الأنداد و الرقعة و الأصدقاء و ربما شريك الحياة. هذه الأحداث تبدو كما لو كانت ستؤدي إلى مشاعر اليأس لدى الجميع، إلا أن هذه ليست الحقيقة المطلقة، فمشاعر الفرد و نموه النفسي الاجتماعي يرتبط بدرجة كبيرة بالتاريخ السابق للفرد و

الذي يصبح أكثر أهمية في هذه المرحلة منه في أي مرحلة أخرى، كنتيجة لظروف المسن التي تحد من إنتاجيته، وإدراكه لعدم كفاية المستقبل لتحقيق الكثير (9).

إن الإحساس بالتكامل هو أن يشعر الفرد بأن المثل العليا في الثقافة التي يعيشها هي مثله العليا حقيقة لا اصطناعاً أمام الناس، بحيث يتقبل دوره في الحياة. والإحساس بالتكامل يعني أن يحب الفرد الآخرين على الرغم من إدراكه لعيوبهم وأوجه القصور لديهم. والشخص الذي حُرِمَ من تكوين هذا الإحساس يراوده الشك في جدوى حياته، ويريد لو أُتيحت له الفرصة أن يعيد صياغتها من جديد، ويتعرض الفرد الذي يفشل في تحقيق الإحساس بالتكامل للشعور باليأس، ويظهر هذا اليأس في صورة اشمئزاز و سخط عام. ولكن تفاعلية نظرية أريكسون تتضح في أن هذا اليأس ليس باليأس الذي يقعد الإنسان عن العمل، بل إن الفرصة متاحة أمام هذا الفرد لكي يُحسن شخصيته وأن يُقوّي الجوانب الإيجابية لديه، وذلك بتوفير مصادر جديدة للثقة. وإذا تهيأت له فرص تمنحه الشعور بالاستقلال والمبادأة، فإن ذلك يساعده كثيراً على التغلب على مشاعر الشك والدونية والخجل، وتمكنه من أن يحقق قدراً معقولاً من الإنجاز في المجالات الأساسية في حياته (17).

و إذا استطاع الفرد حل هذه الأزمة، فهذا يؤدي إلى كسب الأنا لفاعلية جديدة هي الحكمة، والتي تعني اهتمام الفرد بالحياة نفسها و رضاه عنها و مواجهة الموت من غير خوف، مستمداً قوته من ماضيه الذي ينظر إليه على أنه ماضٍ ثري. ويشير أريكسون إلى أن هذه الحكمة في التعامل مع الحياة و قبولها و قبول نهايتها يمكن أن تعتبر هدية هذا الجيل للأجيال القادمة، حيث يدعم إقبالهم على الحياة من غير خوف و قبولهم لفكرة الموت كنهاية واقعية من غير رعب (9).

3- المشكلات والاحتياجات النفسية والاجتماعية للمسنين:

3-1- المشكلات والاحتياجات النفسية للمسنين:

تتمثل الحاجات النفسية للمسنين في العيش بأمان و التحرر من كل الضغوط النفسية، و الحاجة إلى التقدير و الشعور بالعطف و المحبة أي إشباع الجانب الوجداني للمسن، فهو محتاج دائماً إلى يُحَبُّ و يُجِبُّ ، وأن يعترف به و يحس أنه ذو نفع للجماعة و في حاجة إليه بما يؤدي إلى إحساسه بكيانه.

و ما يتعرض له المسنون من تغيير في كثير من الوظائف العقلية يجعلهم عرضة للخوف و القلق. فالأمراض المزمنة التي يعانون منها و إحالتهم على التقاعد و افتقاد بعض الأصدقاء و أحيانا شريك الحياة، و عدم تحقيق التكيف الشخصي و الاجتماعي هو ما يجعله يشعر بالعزلة و افتقاد السند و المعين. كما أن التقدم في السن تصاحبه ديناميات نفسية تتصف بنقص الكفاءة الوظيفية و ما يصاحبها من نكوص و هياج و عمليات دفاعية (18).

وترتبط المشكلات النفسية للمسن بمشكلات عدم التكيف مع وضعه الجديد وتتضح الآثار النفسية والأخلاقية في ظل زيادة وقت الفراغ في مرحلة الشيخوخة، ومن أمثلة المشكلات النفسية :

أ- **مشكلة سن القعود** : وهو ما يعرف عادة باسم سن اليأس ويكون مصحوباً باضطراب نفسي أو عقلي قد يكون ملحوظاً أو غير ملحوظ وقد يكون في شكل الترهل والسمنة والإمساك والذبول والعصبية والصداع و الاكتئاب النفسي والأرق.

ب- **مشكلة التقاعد** : وهو ما يشعر الفرد بالقلق على المستقبل والحاضر والخوف والانهيار العصبي وخاصة إذا فرضت عليه حياته الجديدة بعد التقاعد أسلوباً جديداً من السلوك لم يألفه من قبل ولا يجد في نفسه المرونة الكافية لسرعة التوافق معه، وخاصة إذا لم يتهياً لهذا التغيير، وإذا شعر أو أشعره الناس أنه قد أصبح لا فائدة منه بعد أن كان يظن أنه ملء السمع والبصر.

ج- **ذهان الشيخوخة** : وفيه يصبح الشيخ أقل استجابة وأكثر تركيزاً حول ذاته ويميل إلى الذكريات وتكرار حكاية الخبرات السابقة، وتضعف ذاكرته ويقل اهتمامه وميوله وتقل شهيته للطعام والنوم، وأيضاً تضعف طاقته وجيويته ويشعر بقلّة قيمته في الحياة، وهذا يؤدي إلى الاكتئاب والتهيج وسرعة الاستئثار والعناد والنكوص إلى حالة الاعتماد على الغير وإهمال النظافة والملبس والمظهر وباختصار يبدي الشيخ صورة كاريكاتيرية لشخصيته السابقة.

د- **الشعور الذاتي بعدم القيمة وعدم الجدوى في الحياة**: وهو الشعور بأن الآخرين لا يقبلونه ولا يرغبون في وجوده وما يصاحب ذلك من تصعيد وتوتر. فقد يعيش البعض وكأنهم ينتظرون النهاية المحتومة.

هـ- **الشعور بالعزلة والوحدة النفسية** : هناك سمات انفعالية عامة تميز كبار السن منها الحزن والأسى الناتج عن الوحدة من فقدان حب الآخرين، والشعور بالذنب الناتج عن الوحدة من الحوادث الماضية، أو قد يكون الشعور بالوحدة لعدم وجود من يتحدث معهم نتيجة زواج الأولاد وانشغالهم وموت الزوج وتقدم العمر والمرض أحياناً (19).

3-2- المشكلات والاحتياجات الاجتماعية للمسنين:

إن الإنسان يعاني من الحرمان الاجتماعي عندما يفقد القدرة على حرية الاتصال الاجتماعي طبقاً لحاجته ورغباته، والمسّن يعتبر من أكثر فئات المجتمع تعرضاً للحرمان الاجتماعي نظراً لقلّة موارده المالية وضعف قواه الجسدية. ويزيد من حدة المشكلات الاجتماعية شعور المسن بالوحدة والعزلة عن حياة المجتمع، ويبدأ هذا الشعور بحياة الحرمان من العلاقات العائلية والتي كانت تؤلف جزءاً كبيراً من نشاطه واهتماماته اليومية، مما يضع القيود على تحركات المسنين وعلاقاتهم الشخصية بأفراد المجتمع. و لذلك نجد أن كبار السن تقلص علاقاتهم الاجتماعية إلى حد كبير، فنراها تقتصر على الأصدقاء القدامى القريبين. وعموماً يمكن القول أن تقلص العلاقات الاجتماعية ووسائل الاتصال بالآخرين تبعث مظاهر الملل والسأم والإحباط والشعور بأن الحياة تسير بلا هدف وهذا قد يؤدي إلى اضطرابات سوء التكيف مع البيئة.

و من أهم المشكلات التي يعانيها المسنون هي اغترابهم عن المجتمع نتيجة لعدم استجابة المجتمع لاحتياجاتهم و عدم توفير الفرص لهم للاشتراك في اتخاذ القرارات الهامة المتعلقة بإشباع متطلباتهم، فينشأ ما يسمى باغتراب المسنين عن المجتمع (20)، ويتبع هذا الاغتراب ما يلي :

- أ- قلّة الاهتمامات الاجتماعية للفرد فيما يتعلق بالجهود والأنشطة التي تخدم مجتمعه.
 - ب- قلّة مشاركاته في المنظمات الاجتماعية أو محاولاته إيجاد المنظمات الأكثر فاعلية في إشباع حاجاته.
 - ج- عدم الثقة الكافية في المقدرة على تغيير الأوضاع السيئة في المجتمع.
- ونتيجة لاغتراب المسنين عن مجتمعهم واضطراب علاقاتهم يميل المسنون إلى الاتصاف بمجموعة من الخصائص الاجتماعية من أهمها :

- العزلة والوحدة، ويزيد عن عزلة المسن زواج الأبناء أو موت أحد الزوجين والضعف البدني.
- يفقد المسنون مراكزهم في العلاقات العائلية ويفقدون تأثيرهم على الأسرة وانسحاب المسن وانقطاعه عن المجتمع سمة من سمات التقدم في السن، ويكون هذا الانسحاب متبادلاً بين المسن والمجتمع ككل. وقد يرجع ذلك لنظرة المجتمع واتجاهاته إلى الاختلاط الاجتماعي بالمشاركة مع أفراد المسنين (19). و يمكن تلخيص الاحتياجات الاجتماعية للمسنين في النقاط التالية:

أولاً: تجديد العلاقات الاجتماعية:

إن معظم العاملين الذين يخرجون إلى التقاعد يكونون عرضة لنضوب علاقاتهم الاجتماعية فيقطعون صلّتهم بمن كانت تربطهم بهم صلّات الود و الصداقة و التعاون و التنافس لذلك فمعظمهم يحسون بالوحدة و العزلة عن المجتمع. فمنهم من يركن إلى نفسه حيث أحلام اليقظة القائلة و منهم من يعمدون إلى التمني بدلاً من الواقع

و يستعيدون ما أنجزوه من أعمال في الماضي، و هناك من ينغلق في إطار العلاقات الأسرية الضيقة. و لسد كل هاته الحاجات يتطلب توفير بديلا تربويا سليما لضمان شيخوخة تتمتع بصحة نفسية، و ذلك بإيجاد أماكن خاصة بالفئة المسنة التي يقضون فيها أوقات خصبة مليئة بالحياة .

ثانيا: التكافل الاجتماعي بين المسنين:

و هو مساندة المسنين لبعضهم البعض من ناحية أو أكثر من نواحي الحياة الاجتماعية، و هو مرتبط أشد الارتباط بالتكافل النفسي. و الشيخوخة لهم إمكانيات متعددة للتأثير على بعضهم البعض، و ذلك بحكم تقارب الأعمار و تشابه الظروف و الاهتمامات المشتركة. و من أنواع التكافل الذي يمكن أن يقدموه إلى بعضهم ما يسمى بالتكافل الصحي. و الخدمات الدينية و الروحية و نشر روح التقوى و قيم الدين الإسلامي في نفوس بعضهم البعض. و هناك أيضا التكافل الوجداني و ذلك بقضاء وقتنا سعيدا مع بعضهم البعض في جو تسوده التفاني و البساطة و لقاءاتهم و جلساتهم، مما يشجع إقامة علاقات و روابط إيجابية و ألفة بينهم. و كذلك ممارسة بعض الألعاب المسلية.

ثالثا: ربط جيل الشباب بجيل الشيخوخة:

الواقع أن التكافل بين الأجيال المتعاقبة مسألة معروفة، فجيل الكبار يكفل جيل الصغار و يقوم على رعايتهم حتى يشتد عوده و يصبح قادرا على رعاية نفسه بنفسه. و بدون أن جيل الشباب هو الجيل المسؤول عن رعاية الطفولة من جهة و عن رعاية الشيخوخة من جهة أخرى. فكفالة جيل الشباب بجيل الشيخوخة تقوم على أساس من الوفاء و تسديد الدين، بينما كفالة جيل الشباب للطفولة تركز على الإحساس بالواجب. و الواقع أن التكافل بين جيل الشباب و جيل الشيخوخة له جانب كبير من الأهمية بالنسبة لاستمرار الحضارة و ازدهارها، ذلك أن الشيخوخة يمكنهم العطاء و الفيض بما لديهم من خبرة، إذا لاقوا الجو المناسب لذلك (21).

خاتمة و توصيات:

انطلاقاً من الإيمان بحق كل مسن في أن يسعد بحياته بعد كبر سنه واستنادا إلى القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تفرض علينا أن نرد الجميل لمن تعلمنا ونشأنا على أيديهم وهم الذين ضحوا بكل ما يملكون من صحة ومال وعطاء من أجل استمرار الحياة وتقدم المجتمع. نقدم التوصيات التالية:

- يجب استمرار الحفاظ على البقية الباقية من الترابط والتكامل الأسري وان نتمسك بذلك كقيم اجتماعية أساسية تتميز بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

- يجب أن نحافظ على وضع المسنين في المجتمع دون أن نقدمهم الإحساس بقدراتهم على العطاء في شتى المجالات بما يقابل ذلك أجر أو بالتطوع مستغلين ما لديهم من خبرات.

- أن يظل التوسع في نظم التأمينات الاجتماعية بما يضمن لهم الدخل المناسب الذي يغطي حاجات المعيشة المناسبة وحتى لا يشعر المسن بأنه عالة على أسرته أو أقاربه أو مجتمعه.

- التوسع في إنشاء دور رعاية المسنين وإنشاء النوادي الخاصة بهم لممارسة الرياضة وبعض الهوايات المفيدة مع العناية بالنواحي التنفيذية والترفيهية.

- مساهمة وسائل الإعلام المختلفة في تقديم برامج خاصة بالمسنين.

- تكوين جمعية أصدقاء المسنين من أجل تبني قضاياهم ومشاكلهم الأسرية وتوفير فرص العمل لمن يرغب منهم.

- العمل على إنشاء نظام التأمين الصحي الشامل للمسنين بما يضمنه من وجود عيادات خاصة في كل منطقة وتوفير الأدوية والمعانة مجاناً، إضافة إلى تدريس طب المسنين في مناهج التعليم في كلية الطب.

- إقامة دورات تأهيلية في المرحلة السابقة للشيخوخة لتأهيل المسنين نفسياً للمرحلة القادمة وإلقاء الضوء على

المشكلات المرتبطة بهذه المرحلة العمرية ومساعدتهم على التعامل معها بكل وعي. - إقامة دورات تدريبية للمسنين تساعد في صقل مهاراتهم وتمنحهم الشعور بالانجاز فتساعد في رفع تقديرهم لذواتهم.

الهوامش:

1- خليفة، عبد اللطيف محمد (1997): دراسات في سيكولوجية المسنين، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ص 15.

2- الغامدي، حسين عبد الفتاح (2007): المقياس الموضوعي لتشكيل هوية الأنا، نسخة مقننة على الذكور في سن المراهقة و الشباب بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، جامعة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص 07.

3- شريم، رغدة (2009): سيكولوجية المراهقة، ط 1، دار المسيرة عمان، ص 46.

4- جابر، عبد الحميد جابر (1990): نظريات الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 165.

5- زهران، حامد عبد السلام (2005): علم نفس النمو، ط 6، عالم الكتب، القاهرة، ص 87، ص 90.

6- عبد المعطي، حسن مصطفى (2004): النمو النفسي الاجتماعي و تشكيل الهوية، ط 1، مكتبة زهران الشرق، القاهرة، ص 18، ص 30-31، ص 50.

7- Adams, G. R. and Berzonsky, M. D. (2003): Blackwell handbook of adolescence. Malden. USA: Blackwell Publishing, P. 207.

8- سهير، كامل أحمد (2003): سيكولوجية الشخصية، مركز الأسكندرية للكتاب، الأسكندرية، ص 235، ص 240.

9- الغامدي، حسين عبد الفتاح (2010): مقياس النمو النفس- اجتماعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ص 09، ص 39.

10- يعقوب، غسان، يعقوب، ليلي دمع (د س): سيكولوجيا النمو عند المراهق، الجزء 1، دار النهار، لبنان، ص 141-140.

11- علاونة، شفيق فلاح (2004): سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، ط 1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص 260، ص 262.

12- انجلر، باربرا (ب س): مدخل إلى نظريات الشخصية، ترجمة فهد بن عبد الله دليم، دار الحارثي للطباعة و النشر، الطائف، ص 190-191.

13- الريماوي، محمد عودة (2003): علم نفس النمو، الطفولة و المراهقة، ط 1، دار المسيرة، عمان، ص 72.

14- سليم، مريم (2002): علم نفس النمو، ط 1، دار النهضة العربية، لبنان، ص 73-74.

15- كفاي، علاء الدين (2008): الارتقاء النفسي للمراهق، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ص 217.

16- أبوجادو، صالح محمد علي (2004): علم النفس التطوري: الطفولة و المراهقة، ط 1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، ص 135.

17- كفاي، علاء الدين (2009): علم النفس الإرتقائي، سيكولوجية الطفولة و المراهقة، ط 1، دار الفكر، عمان، الأردن، ص 91-92.

- 18- إسماعيل، عزت سيد (1999): التغيرات السيكولوجية المصاحبة للشيخوخة، المؤتمر الدولي للصحة النفسية للمسنين، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 33.
- 19- بركات، وجدي محمد (2009): أهمية التدخل المهني لإعداد برامج تلبية احتياجات المسنين النفسية و الاجتماعية لدمجهم في المجتمع، ورشة العمل الخليجية للعاملين و المتطوعين في مجال رعاية كبار السن بدول مجلس التعاون الخليجي، البحرين، ص 10-11.
- 20- الطحان، خالد (1982): نظرة مستقبلية حول رعاية المسنين في ضوء خصائصهم النفسية، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية، المنامة، البحرين، ص 402.
- 21- امزيان، نعيمة (2004-2005): الآثار السوسيواقتصادية لحدث التقاعد على فئة العمر الثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، ص 68-69.